

د. أبو القاسم سعد الله

الثورة الجزائرية

في
الآداب

العودة آتى مجلة الآداب في الخمسينات تعني العودة الى شيئين عزيزين على نفسي : الشباب الذي كان حقيقة فاصبح حلما والثورة التي كانت حلما فاصبحت حقيقة . فقد عدت الى انتاج هذه المجلة ابحت عما نشرته عن الثورة الجزائرية فادا بي اعيش من جديد الايام التي كانت الآداب تصلنا فيها ونحن طلاب بتونس نبحت ، كجزائريين ، عن منبع للثقافة العربية التي حرمتنا منها الاستعمار في بلادنا . وكانت الآداب عندئذ في نظرنا تمثل تيارا جديدا تقدميا قوميا لا يؤمن به اساتذة اتريتونة ولا طلابها المتزمتون . وكان من يقرأ الآداب عندئذ كمن يقرأ موسوعة ديدرو في القرن اثنامن عشر .

التقت ارادة الآداب وارادتي فكانت هي تكمل ضعفي الذي يعود احيانا الى عدم النضج بحرارة ايمانها بالمعركة القومية ، وكنت اثبت ايمانها بما اقدمه لها من نماذج حية للآداب الجزائري باعتباره مكملا للآداب العربي حيثما كان .

وهذا البحث الذي اكتبه بمناسبة العيد الفضي للمجلة لا يغطي في الواقع سوى فترة الثورة الجزائرية ولا يمتد عبر سنوات صدور الآداب الطويلة ، وهي الفترة التي اشتدت فيها فورة شبابي بحدة المعركة في الجزائر

وانعكس كل ذلك على صفحات الآداب التي اصبحت ديوانا يضم عن الجزائر فصولا كتبت ليس فقط عن الآداب ولكن عن السياسة والاقتصاد والمواقف الانسانية ايضا .

- 1 -

صدرت الآداب في يناير ١٩٥٣ والحالة السياسية في منطقة المغرب العربي في اضطراب شديد وعلاقة بلدانها ، وخصوصا تونس ومراكش (المغرب) بفرنسا متوترة الى اقصى الحدود . فلا غرابة حينئذ ان تبدأ الآداب اهتمامها

ومن حقي ان اكتب عن الآداب لانني قد عاصرتها قارئا وكتابا منذ عهد الطلب الى اليوم . فرغم اني كنت طالبا في السنة الاخيرة من الثانوية العامة (التحصيل) نشرت فيها اول مقالة بعنوان (ارض الملاحم) . ومع هذا العنوان عنوان فرعي يقرأ هكذا (في طريق الياذة الجزائرية) وهذا العنوان وحده كان كافيا لتحديد علاقتي بالثورة وعلاقة الآداب بالجزائر . ذلك ان المقال المذكور قد نشر قبل انفجار الثورة الجزائرية ، التي كرسنت لها الآداب صفحات كثيرة من أعدادها ، بستة شهور . وكانت هذه الثورة هي (الياذة) الحقيقية التي تحدثت عليها المقال . وقد ازددت ارتباطا بالآداب يوم نشرت فيها بعض القصائد التي تنوه بكفاح الجزائر وتربط بينه وبين كفاح فلسطين وكفاح الامة العربية في جميع اجزائها ، ثم عندما نشرت فيها ابحاثا عن الآداب الجزائري في جميع اشكاله ، محاولا تعريف القراء العرب به ، وخصوصا المثقفين منهم . وقد نشرت ذلك كله بينما كنت ما ازال طالبا في جامعة القاهرة . وكما شعرت الآداب بواجبها القومي نحو المعركة العربية في الجزائر شعرت انا بواجبي الوطني في النضال القلمي من اجل هذه المعركة . وهكذا

باوضاع المغرب العربي . ولكن صورة هذا المغرب لم تكن قد تبلورت بعد في اذهان كتاب المجلة . ذلك ان هؤلاء الكتاب كانوا يستعملون عبارات جغرافية غير محددة نقلا عن المصادر الفرنسية غالباً ، مثل (افريقية الشمالية) . وكان اول عنوان اختاره مراسل الاداب في باريس لمراسلته هو (الادب الافريقي بالفرنسية) . وقد تحدث فيها عن روايتين لكاتبين جزائريين وهما (الربوة المنسية) لمولود معمري و (البيت الكبير) لمحمد ديب . وقد حلل الروائيتين واطهر مفهومهما السياسي المعارض للاستعمار رغم انهما كتبتا بالفرنسية . وفي المراسلة الموالية عاد الى نفس العنوان وهو (عود الى الادب الافريقي) حيث تحدث عن نيل محمد ديب بجائزة عن روايته السابقة وعن قرب صدور رواية مولود فرعون (الارض والدم) وعن كون (الربوة المنسية) لمولود معمري قد حصلت ايضا على جائزة ، الخ . ولكن الاداب سنة ١٩٥٣ كانت ما تزال تتحدث عن الادب الافريقي بدلا من الادب الجزائري ، وكان مصدرها في ذلك (باريس) وليس (الجزائر) ولا حتى المغرب العربي .

غير ان هذا انغموس الجغرافي بدأ يزول بدخول سنة ١٩٥٤ . ففي العدد الاول من هذه السنة خرج الدكتور سهيل ادريس بمقالة عن (القصة العربية في افريقية الشمالية) التي لفتت الانتباه الى ادب المغرب العربي ، كما اثارت بعض التعليقات . وقد ركز الدكتور ادريس على ادب تونس ، وخصوصاً انتاج محمود المسعدي . اما فيما يتعلق بالجزائر (التي لم تكن الثورة قد وقعت فيها بعد) فقد اشار الى ضعف مستوى الثقافة العربية فيها ، وحكم بانعدام القصة العربية في الجزائر ، وعد من ادبائها بالفرنسية محمد ديب ومولود فرعون . ومما يلفت النظر انه اضاف الى هذين ادباء الفرنسيين المولودين بالجزائر مثل البير كامو وعمانوئل روبلس ، غير ان الدكتور ادريس ربط في مقالته بين نهضة الادب العربي في المغرب العربي وبين تحقيق الاستقلال والحرية . لذلك تمنى في النهاية حصول « افريقية الشمالية » على استقلالها السياسي حتى تفني الادب العربي بطاقة جديدة .

وسرعان ما بدأ اسم (المغرب العربي) يظهر على صفحات الاداب . فقد فتحت بابا بذلك العنوان في قسم النشاط الثقافي في العالم العربي . واستقبلت مراسلات من تونس عن الحركة الادبية في هذا القطر ، ومن مراكش (المغرب) عن القصة العربية في هذا القطر ايضا . وقد استمر هذا الاهتمام بالمغرب العربي في تصاعد . وفي هذه الفترة كتبت في الاداب مقالتي (ارض الملاحم او في طريق اليازة الجزائرية) المشار اليها . كما نشرت بعد ذلك فيها ، باسم رشيد الخولي ، تعليقا حول ارض الملاحم . ولكن اهتمام الاداب بالجزائر كان ما يزال ثانويا . فقد كانت اخبارها تاتي من باريس كما اشرفنا

وليس من المغرب العربي ، يضاف الى ذلك ان كلا من تونس والمغرب كان في انتفاضة سياسية تجلب اليه الانظار ، بينما كانت الجزائر ما تزال في هدوء ، ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة . وقد هبت هذه العاصفة في فاتح نوفمبر ١٩٥٤ . ومع ذلك فقد انتهى عام ١٩٥٤ من حياة الاداب دون تعليق يذكر على هذا الحدث الكبير .

- ٢ -

وفي السنة الموالية كان هذا الاهتمام ما يزال ضعيفا ايضا . فاذا استثنينا انتاج عثمان سعدي فان الاداب لم تنشر شيئا عن الجزائر جديرا بالذكر . ففي العدد الثالث (١٩٥٥) نشر سعدي مقالة بعنوان (مشكلة الثقافة في الجزائر) عرف فيها بالحياة السياسية والاجزاب وعلاقة الجزائريين بالفرنسيين ونوه بالثورة . وتحدث عن زعماء الجزائر . وانتهى في بحثه الى ان الثقافة في الجزائر قد اتجهت لثلاثة اتجاهات : الاتجاه الشعبي (لفته العامية - البربرية) والاتجاه العربي التعليمي (لفته الفصحى) والاتجاه الثقافي العام (لفته الفرنسية) . ومهما كان محتوى هذا المقال فانه يعتبر اول تعريف بالجزائر سياسيا في مجلة الاداب . ولم تفض فترة طويلة حتى اخرجت الاداب بحثا طويلا عن الجزائر اهتمت به اهتماما خاصا حين جعلته (بحث الشهر) وهو (الفن الشعبي في الجزائر) لعثمان سعدي ايضا . وقد ترجم سعدي نفسه قطعة لكامو بعنوان (رجوع الى تيبازة) . ولا تهمنا هنا ترجمة هذه القطعة بقدر ما يهمنا ما دار حولها بعد نشرها . ذلك ان الاداب قد اعتبرت كامو ادبيا جزائريا كبيرا حين قالت في تقديم الترجمة « هذه قطعة من روائع الادب الجزائري الكبير كامو » ولعل اهتمامها بكامو يعود الى « جزائريته » في نظرها . غير ان هذا قد ينقضه عناية الاداب بكامو الفيلسوف والقصاص ايضا ، كما سنرى ، والنقطة الثانية التي اثارها ترجمة سعدي ايضا هي ان الاداب قد اختارت لها عنوانا آخر بارزا وهو (صفحات من الادب الجزائري الحديث) . ولا شك ان هذا يعكس اهتمام الاداب بقضية الجزائر اكثر مما يعكس اهتمامها بآداب كامو . فقراؤها كانوا في حاجة الى اخبار الجزائر فيها اكثر من حاجتهم الى اخبار كامو . وقد اعترض الدكتور على سعد في تعليقه على وضع الاداب (صفحات من الادب الجزائري الحديث) امام قطعة كامو (رجوع الى تيبازة) لان كامو في نظره ليس عربيا ، ومن ثمة فان ادبه ليس ادبا عربيا جزائريا بل هو ادب فرنسي لحما ودما . ورغم ان سعدي قد انتصر لكامو الجزائري وهاجم الموقف العربي في المشرق من ثورة الجزائر ، فان تعليق الدكتور علي سعد كان درسا للاداب التي لا نجد لها تذكرا كامو مستقبلا على انه جزائري ، باستثناء المولد طبعا .

ولكن الآداب قد اكتشفت الجزائر سنة ١٩٥٦ ، فقد ضمت أعدادها خلال هذه السنة أبحاثا ضافية عن ثورة الجزائر وعن علاقتها بالاستعمار الفرنسي وعلاقة كفاح الجزائر بكفاح الأمة العربية . كما ضمت عددا كبيرا من القصائد والقصص والأخبار التي يتعاطف أصحابها مع الثورة ، وكان هؤلاء من مختلف أنحاء الوطن العربي ، بما في ذلك الجزائر نفسها ، كما قدمت الآداب أعمالا مترجمة لكتاب فرنسيين أو جزائريين يكتبون بالفرنسية .

فقد صدر العدد الثاني من السنة المذكورة يحمل عرضا لحياة الشهيد زيدون بن قاسم قدمه عثمان سعدي . وكان الشهيد زيدون من الشبان الجزائريين المثقفين الذين تلقوا علومهم في كلية دار العلوم بالقاهرة . وبعد انضمامه للثورة القت عليه سلطات الاحتلال في وهران اقتبض وحكمت عليه بالموت في الثالث من نوفمبر ١٩٥٤ .

ولكن العدد الثالث ضم خمسة أبحاث عن الجزائر ، بما فيها افتتاحية المجلة نفسها . كما ضم قصيدتين أحدهما لبدر شاكر السياب والأخرى لكاتب هذا البحث ، ذلك ان الآداب قد خصصت القسم الأول من العدد المذكور لقضية الجزائر بمناسبة عرضها على هيئة الأمم المتحدة . وكان هذا الموقف من الآداب يندرج في إيمانها « بوحدة النضال العربي » من جهة وفي مشاركتها في التعريف بقضية الجزائر التي جعلتها الأمة العربية قضيتها في تلك الفترة . وانتهى ريف خوري ، الذي كتب عن (الحل الوحيد لقضية الجزائر) الى ان الحل في نظره يكمن في « التسليم باستقلال وطني للجزائريين تنبثق منه جمهورية جزائرية عربية وطنية ديموقراطية » وحل الدكتور عبد الله عبدالدائم (مآثر فرنسا في الجزائر) ودحض دعاوي فرنسا الحضارية هناك ، وخلص الى ان الموضوع ليس موضوع ازدهار اجتماعي بالنسبة للإنسان العربي في الجزائر ، ولكن « المسألة بالنسبة اتية قضية كرامة قومية » .

وترجمت الآداب تعليقا على رواية (نجمة) لكاتب ياسين كتبه الفرنسي موريس نادو ، وجعلت للترجمة عنوانا يناسب أحداث ذلك الوقت ، وهو (نجمة رواية الجزائر المناضلة) كما وضعت صورة كاتب ياسين وعرفت بحياته وقالت انه هو مؤلف رواية (الجثة المطوقة) ايضا . وقدمت الآداب تقرأتها العرب عرضا لكتاب فرنسي هام عن الجزائر في ذلك الوقت ، وهو (الجزائر الخارجة على أفانسون) لكوليت وفرانسيس جونسون . فهو اول كتاب يعرض لاصول الاستعمار الفرنسي في الجزائر ويوضح العلاقة بين الإنسان الجزائري والفرنسيين . وقد اخصته تلخيصا وفيما استغرق منها حوالي ست صفحات . وانتهى عرضها له بقول المترجم « فالكتاب جدير بان يطلع عليه كل عربي ، وجدير بان يحمل الشكر تكاتبيه،

شكر كل مؤمن بالإنسانية وبالتحرر القومي » واهتمت الآداب في نفس العدد بأخبار النشاط الثقافي في فرنسا ، فأوردت من هناك حديثا عن (الآداب وقضية الجزائر) ذكرت فيه بيانين للكتاب الفرنسيين عن حرب الجزائر ، ومهاجمة الاستعمار الفرنسي هناك من طرف الكتاب الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية ، مثل محمديب . وافتتحت الآداب عددها الخامس من نفس السنة (بالديموقراطية والابادة) الذي تحدثت فيه بلهجة شديدة عن مساندة الأحزاب الفرنسية للحكومة ، وهي الأحزاب التي كانت من قبل تنادي بالديموقراطية ومحاربة الطغيان . كما تحدثت عن زيف الضمير العالمي ، وتفاءلت بانتصار الثورة الجزائرية ضد الطغيان والاستعمار . ومما يلفت النظر ان المجلة قد وضعت صورة على غلافها أخرجي لرجل يحمل بندقية وكتبت تحتها « تحية اتي ثوار الجزائر العربية » . وهكذا يظهر جليا اهتمام المجلة الكبير بقضية الجزائر ويربط نضالها بنضال الأمة العربية .

وفي نفس العدد بحث لعثمان سعدي ، وهو (مأساة شعب وتبلد ضمير) تحدث فيه عن العلاقات الجزائرية - الفرنسية منذ الاحتلال وسياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر القائمة على نهب الثروات وتجريد السكان من شخصيتهم العربية . كما ضم العدد قصيدة لكاتب جواد وأخرى لكاتب هذا البحث بعنوان (المروحة) التي ترمز الى احتلال فرنسا للجزائر ، واحتوى نفس العدد على بيان من العراق عنوانه « اتقدوا الجزائر العربية ، نداء من المثقفين العراقيين الاحرار الى العرب الاحرار اينما كانوا » وقعه عدد من كتاب وشعراء العراق الشقيق ، منهم السياب ، والشواف ، والحلى ، وجواد ، ونيازي الخ .

ولم يفت الدكتورين سامي الدروبي ومحمد مندور ، اللذين علقا على العدد السابق ، تناول البحثيين المذكورين ، وهما (الديموقراطية والابادة) و (مأساة شعب وتبلد ضمير) . واستمرارا لهذا الجو ترجمت الآداب مقالة جان بول سارتر عن (نظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر) في عددها السادس . والمقالة هي خطبة كان قد القاها سارتر في باريس برعاية لجنة المثقفين للعمل ضد متابعة الحرب في شمال افريقية ، ونشرها في مجلته (الازمنة الحديثة) وقد ترجم المقالة الدكتور سهيل ادريس بنفسه ، ووجه بهذه المناسبة تحية حارة الى سارتر والى جميع الفرنسيين الاحرار .

وتوالى الدراسات والمناقشات والقصائد في الأعداد اللاحقة . فاحتوى العدد السابع على اربع قصائد لعلي الحلى ، ومحمد النقدي ، ومحمد شمس الدين ، وزهير احمد ، وعلى (رسالة الى فتى فرنسي في الجزائر) كتبها جان سوناك وترجمتها الآداب ايضا . كما احتوى العدد على مناقشتين تعرضان للجزائر وهي مناقشة محي الدين

(بحث الشهر الاقتصادي) . والملاحظ هنا انها قد اضافت اليه عبارة « بقلم الكاتب الجزائري لفتا لنظر القارئ الى مفكري الجزائر والى ابطالها معا . وفي باب النشاط الثقافي اوردت المجلة اخبارا عن حركة الازهال والاعتقال التي تباشرها السلطات الفرنسية في الجزائر بمناسبة عرض قضية الجزائر على الامم المتحدة . ودخلت اسماء جبال الجزائر ومدنها في الشعر العربي وغيره مثل وهران واوراس الخ . وفي هذا الصدد نشر الشاعر احمد عبدالمعطي حجازي قصيدته (اوراس) كما نشر محمود النجدي قصيدة بعنوان (رجال من الجزائر) . وفي العدد الخامس نشر الشاعر ايوب طه قصيدة بعنوان (اوراس) ايضا .

وقد ناقش ناجي علوش في العدد الثالث من هذه السنة كتاب (ثورة الجزائر) لعلي الشلقاني ؛ ونلاحظ ان المناقش قد رفض اجتهادات المؤلف حول القضية القومية في الجزائر العربية ، وقضية ادماج الجزائر في فرنسا ، وقضية الصراع تطبيقي واثره في الوحدة القومية ، وكانت للمؤلف الشلقاني تفسيراته لهذه القضايا التي لم يكن فيها ، كما لاحظ المناقش ، ملتزما بوحدة كفاح الجزائر من الداخل ولا بوجهة كفاحها القومية . وقد عاد علوش الى نفس الموضوع في العدد الخامس .

واعطت الاداب اهتماما خاصا لموقف الكتاب الفرنسيين من قضية الجزائر ، فكانت لا تقرأ عددا منها خلال هذه الفترة الا وفيه حديث من مراسلها في فرنسا عن موقف هؤلاء الكتاب . ففي العدد الرابع حديث عن (معركة الجزائر) تناول فيه المراسل المناقشة التي دارت بين فرنسوا مورياك وجان عمروش حول القومية الجزائرية التي يؤمن بها الثاني ويرفضها الاول . وكان مورياك ينادي بالتفاوض مع فرنسا بدل المطالبة بقومية جزائرية مستقلة عن فرنسا . اما في العدد الموالي فقد دارت المراسلة من باريس حول البيان الذي وقعه ٣٥٠ كاتب وصحفي وشخصية فرنسية والذين طالبوا فيه بوقف الازهال في الجزائر . كما تحدث المراسل عن مقتل علي بو منجل الجزائري ووثيقة الكاتب سرجان شرايبر التي اصدرها بعنوان (ليوتنان في الجزائر) .

وهذه النقطة هي التي عاد اليها سهيل ادريس في العدد الموالي عندما كتب تحت عنوان (قضية الجزائر - التعذيب والشرف) وهو يعني بالتعذيب انتحاري علي بو منجل هروبا من التعذيب ، وبالشرف موقف مورياك الذي اعلن انه لن يكتب الرواية بعد اليوم لان فظاعة الواقع تطرده من ميدان التأليف الخيالي . وتناول الدكتور ادريس في هذا العدد مجموعة من الكتب الفرنسية التي صدرت عن الجزائر وتحدثت عن التعذيب والازهال هناك . ومنها كتاب شرايبر المذكور ، وكتاب ب.ه. سيمون (ضد التعذيب) الخ . ومما يلفت النظر ان الدكتور ادريس قد انتهى مقالته بهذه العبارات الساخنة « ايها المكافحون

اسماعيل لمقالة (نظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر) لسارتر ، وتعليق كاتب هذا البحث على نقد قصيدة (المروحة) . اما العدد الثامن فقد ضم قصيدتين احدهما لعبدالرضا الطمان والآخرى لكاتب هذا البحث . ولاول مرة تضم الاداب قصة عربية تقارن بين الوضع في الجزائر وفي بلد عربي آخر ، وهي قصة مطاع صفدي (المزيغون والثورة العظيمة) التي جعلتها الاداب في باب (قصة الشهر) ، فقد قارن فيها الكاتب بين نضال الكلام في دمشق ونضال السلاح في الجزائر عندئذ . ولذلك اهداها « الى رفاق لي لم يزالوا في ارض الغبار اقدم لهم هذه القصة من ارض الدم » والعبارة الاخيرة هي التي جعلت الاداب تضيف الى عنوان القصة عبارة « من الجزائر » .

اما الاعداد الباقية من السنة فقد ضمت قصائد لنازك الملائكة وعلي الحلي وجلال السامرائي وقصيدتين لكاتب هذا البحث . غير ان العدد الاخير قد ضم بحثا لكلود بوريه (معركتنا في الجزائر او الخطف المجرم) الذي ترجمته الاداب وعلقت عليه بقولها « لا حاجة بالاداب الى التذكير بوحدة المعركة العربية في كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير . وان ضراوة المعركة في مصر لن تنسينا الجزائر المجاهدة التي ابتليت بالاستعمار الفرنسي ، هذا الاستعمار الذي اصبح شعاره الاول : الفدر » وهذا البحث كان قد كتب بمناسبة اختطاف فرنسا لعدد من زعماء الجزائر في خريف سنة ١٩٥٦ .

فالاداب اذن قد اكتشفت الجزائر العربية المجاهدة خلال هذه السنة ، ولم تعد تتحدث عنها كشيء ضائع في النطاق الجغرافي « لشمال افريقية » او في الاخطبوط الاستعماري المسمى وحدة الامبراطورية الفرنسية ، بل اصبح للجزائر لدى كتاب الاداب ومحرريها معركتها الخاصة ضد الاستعمار ، وان لهذه المعركة ادبها وقنها واهدافها التي تلتقي مع اهداف النضال العربي الآنية والاجلة .

— ٤ —

وقد اظهرت السنوات اللاحقة صورة هذا التطور بشكل اكثر جلاء . فمنذ العدد الثاني من سنة ١٩٥٧ كتب الدكتور محمد مندور مقالة بعنوان (زحف التحرر العربي) ربط فيها بين تحرر البلاد العربية من ربقنة الاستعمار والتبعية فذكر سوريا ومصر ولبنان ومراكش وتونس ثم قال « وها هي الجزائر الباسلة في سبيلها الى التحرر بفضل جهاد ابنائها الابطال ومؤازرة الامة العربية كلها لها في هذا الجهاد » فالامة العربية من الخليج الى المحيط كانت تعتبر نضال الجزائر هو نضالها لانها اكتشفت ان هذا النضال هو شرف لها وانه جزء من حركة التحرر العالمي ضد التخلف .

واهتمت الاداب في نفس العدد ببحث للكاتب الجزائري مالك بن نبي (أسس فعالية اقتصاد افريقي - اسيوي) . وقد صدرت البحث بصورة صاحبه بل جعلته

المعذبون في الجزائر . . لن تكونوا ابدا عراة منا دمتهم
ترتدون ثوب الشرف » .

وفي نطاق التعريف بالقضية الجزائرية ضم نفس
العدد مقالا لعبد الحميد مهري ، مندوب جهة التحرير
الوطني قي دمشق عندئذ تحدث فيه عن الجانب الانشائي
من الثورة الجزائرية وعمما تبنيه هذه الثورة اثناء هدمها
للنظام الاستعماري ، وخاصة انعقاد مؤتمر الصومام
التاريخي الذي وضع أسسا صلبة لاستمرارية الثورة
و ضمانات نجاحها .

واستمرت الاداب في نفس الخط في اعدادها
اللاحقة . فنحن نجد العدد الثامن قد ضم ترجمة لمقالة
سارتر (مجندون يشهدون) التي حلل فيها نفسية
الانسان الفرنسي تجاه قضية الجزائر ، وقد جعلتها
الاداب تحت هذا العنوان (قضية الجزائر ابدا) وتحت
هذا العنوان ايضا عاد الدكتور عبدالله عبد الدائم يحلل
مأساة الجزائر من خلال الكتاب الذي الفه الفيلسوف
الفرنسي ، ريمون ارون . ورغم ان ارون كاتب يميني
واستاذ علم الاجتماع بالسوربون فقد تحرك ضميره ازاء
قضية الجزائر ويكفي العنوان الذي وضعه المؤلف ، وهو
(مأساة الجزائر) . وحول نفس الموضوع تناول جليل كمال
الدين كتاب (اضواء على القضية الجزائرية) الذي الفه
ابراهيم كبه في بغداد . وقد ضم الكتاب سبعة فصول
عن الثورة الجزائرية ، واعتبره المراجع تعبيرا عن المساهمة
العربية في التعريف بالثورة .

وقد عرف قراء الاداب خلال هذه السنة مجموعة من
الدراسات عن الجزائر مكتوبة باقلام جزائرية . وكان
الفضل في تقديم هؤلاء الكتاب يعود حقا الى الاداب .
فقد نشرت لاربعة كتاب جزائريين على الاقل دراسات
وقصصا . من ذلك بحث المفكر مالك بن نبي (من اجل
ثقافة افريقية) وهو اندي ترجمه عن الفرنسية
الطيب الشريف ، وقدم عثمان سعدي دراسة مطولة
عن (الادب الشعبي والمقاومة الجزائرية) وهي دراسة
تاريخية ووصفية للادب الشعبي الجزائري وعلاقته
بالكفاح السياسي وبالثورة . اما الدراسة الاخرى
فلكاتب هذا البحث تناول فيها الشعر الجزائري المكتوب
بالعربية بعنوان (تصميم للشعر الجزائري الحديث) . اما
في ميدان المسرحية والقصة فقد نشرت الاداب تمثيلية
(عذابات) لابي العيدودو ، وهي من فصل واحد وتقع
احداثها في معسكر للجيش بالقرب من بجاية . كما كتب
عثمان سعدي قصته (اثنان وثلاثون طلقة) .

- ٥ -

اما الشعر فقد ضعف خلال هذه السنة (١٩٥٧) فلم
تورد الاداب منه سوى قصيدة لجيب صادق ، بالاضافة
الى ما ذكرناه من قصائد لحجازي والنجدي وطه ، بينما
ضمت سنة ١٩٥٨ عددا كبيرا من القصائد عن انجائر ،

معظمها خاص بجميلة بوحيرد اثر الحكم عليها بالاعدام
من قبل الفرنسيين . ومن الذين ساهموا في هذه
المناسبة تزار قباني ، وشفيق الكمالي ، ونجيب سرور ،
ومحمد المصري ، وعيسى الناعوري ، وسليمان العيسى ،
وحسن البياتي ، وعلي الحلي ، ومحمد الفيتوري ، وفارس
قويدر . وفي هذه الاثناء صدر في القاهرة كتاب بعنوان
(جميلة) يضم احدى عشرة قصيدة . وقد راجعه للاداب
علي شلش .

وكان احتفال الاداب بالدراسات والابحاث عن
الجزائر اقل بكثير من احتفالها بالشعر فلا نكاد نجد في
اعداد سنة ١٩٥٨ سوى مقال لسارتر (الجلادون) الذي
اعتبرته المترجمة عائدة مطرجي ادريس ، « اخطر مقال
عن حقيقة التعذيب في الجزائر » والمقال عبارة عن
التعليق الذي كتبه سارتر على كتاب (الاستجواب) لبير
اليخ . وقد ساهم جليل كمال الدين ببحث عن (الجزائر
في الفن العراقي) ضم لوحيتين : الجزائر لفرج عبو ،
ومجزرة الجزائر لمحمود صبري ، بالاضافة الى تمثال
جميلة لاسماعيل الترك . وما دمتنا بصدد الحديث عن الفن
فلنذكر ان صورة غلاف العدد الرابع كانت رسما لجميلة بو
عزة مكتوبا تحتها بقلم الفنان ناظم ايراني « الى المناضلة
الباسلة جميلة مع اكباري العميق » .

وتحت عنوان (ثورتنا العربية في الجزائر) ناقش
ناجي علوش كتاب (شروط النهضة ومشكلات الحضارة)
لمالك بن نبي ، وقد عالج فيه افكار ابن نبي بشيء من
الاعجاب . وفي العدد الثاني كتب الجنيدي خليفة (رسالة
من سجين جزائري) ، كما نشر كاتب هذا البحث دراسة
عن (الفول في الشعر الجزائري) . اما القصص فقد
نشرت منها الاداب اثنتين احدهما (الزنزاة السابعة
لم تعد تجيب) لاحمد عكاش التي ترجمها عن الفرنسية
حنفي بن عيسى . والملاحظ ان القصص والمترجم
جزائريان . ونفس الشيء يقال عن عثمان سعدي الذي
كتب قصة (الشيخ حداد) .

ولم تخل الاداب من اهتمامات اخرى عن الجزائر
خلال هذه السنة . فقد كانت تنشر وقائع المؤتمرات العربية
وغيرها ، وخاصة ما يتعلق منها بالجزائر ، مثل برقية الى
الامم المتحدة بشأن الجزائر ، وبيان عن الجزائر الصادرين
عن مؤتمر الادباء العرب الثالث (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ومثل
الاعلان عن صدور كتاب (غارنا في الجزائر) لسارتر بمناسبة
اسبوع الجزائر في البلاد الافريقية والاسيوية ، وكذلك
الاعلان عن قرب صدور (انسان الجزائر) للشاعر علي
الحلي . .

- ٦ -

وبقدر ما ضعف الشعر عن الجزائر سنة ١٩٥٩ بقدر
ما تضاعفت الدراسات ، فاما الشعر فلا نكاد نجد منه
سوى اربع قصائد لنازك الملائكة ، وصادق الصائغ ، وحسن

مدىها باخبار مواقف المفكرين الفرنسيين من قضية الجزائر ، وخاصة ما اثاره كتاب (التعفن) او الفنفرينا من نقاش ، وهو الكتاب الذي يصف فظاعة التعذيب في الجزائر . ومن جهة اخرى اوردت المجلة خلاصة لكلمة ممثل الجزائر في مؤتمر الادباء العرب الرابع الذي انعقد في الكويت خلال سنة ١٩٥٩ .

- ٧ -

واحتفلت الاداب خلال سنة ١٩٦٠ بعدة ابحاث عن كامو وعن الادب الجزائري كما احتفلت بعدد من القصائد التي تغنى اصحابها بالثورة . فاما الابحاث المخصصة لكامو فنذكر منها (كامو والتمزق) للدكتور سهيل ادريس الذي كتب بهذه المناسبة « نحن نعتقد بان مأساة الجزائر تكمن وراء هذا التمزق » . وفي نفس الدرب سار محي الدين اسماعيل في بحثه عن (كامو والبحث عن السعادة) الذي حلل فيه مواقف كامو العامة ، ومنها موقفه من قضية الجزائر ، و (كامو ونظرية التمرد) . وقد سبق ان لاحظنا ان الاهتمام بكامو يعود في نظر عدد من الكتاب العرب عندئذ الى اهتمامهم بقضية الجزائر ، حتى ان بعضهم قد اعتقد في « جزائريته » . ولولا ذلك لاعتبرنا اهتمامهم به مجرد دراسة للفلسفة المعاصرة ومواقف الانسان من مجتمعه .

اما الابحاث المركزة على ادباء جزائريين بعينهم فنذكر منها (محمد العيد كبير شعراء الجزائر) لكتاب هذا البحث الذي قدم به لقراء الاداب شاعر العربية في الجزائر المستعمرة ، و (رضا حوحو ونضال الكلمة) لكتاب هذا البحث ايضا الذي عرض فيه حياة واثار الشهيد احمد رضا حوحو ومواقفه الادبية . ورضا حوحو من ادباء العربية ايضا في الجزائر . وكتاب هذا البحث ايضا هو الذي نشر (محاولاتنا في النقد الادبي) تناول فيه الحركة النقدية في الجزائر ولا سيما مدرسة مجلة (الشباب) وجريدة (البصائر) . وكانت هذه الابحاث الثلاثة تركز كما سبق ، على كتاب وشعراء الجزائر بالعربية ، في الوقت الذي نشرت فيه الاداب ايضا مقالات تلقي اضواء على كتاب جزائريين يكتبون بالفرنسية . ومن هؤلاء ما نشره عثمان سعدي عن مولود معمري صاحب روايتي (الربوة المنسية) و (سبات العادل) . وقد نشر عثمان سعدي ايضا قصة لنفسه بعنوان (الثلج والشوف) كما نشر مواطنه حنفي بن عيسى قصة بعنوان (عائدون) . وهكذا عرف قراء الاداب خلال هذه السنة عددا من ادباء الجزائر وشعرائها ، ناقدين ومنقودين ، بالعربية وبالفرنسية .

وهناك افتتاحيتان هامتان للاداب خلال هذه السنة كرسنا للجزائر ، اولاهما كتبها الدكتور سهيل ادريس بعنوان (الجزائر والحرية) تحدث فيها عن الـ ١٢٠ مثقفا فرنسيا حرا الذين اصدروا بياناً دفاعاً عن اعضاء

فتح الباب - وكلها تقريبا عن جميلة ايضا . ولكن افتتاحية الاداب للعدد الحادي عشر كانت قمة في التعبير عن ايمانها بالنصر للثورة . فقد كتب الدكتور سهيل ادريس (تحية الى الجزائر) جاء فيها على الخصوص « ليس من شك بعد في ان الشعب العربي في الجزائر قد انتصر . فلقد أنتزع بكفاحه الطويل المرير الدامي حقه المقدس في تقرير مصيره ، وارغم الاستعمار افرنسي على الاعتراف بهذا الحق الذي سيؤدي بلا ريب الى استقلال الجزائر . وسيادة الشعب العربي في الجزائر » . وهذه بدون شك كلمات قوية في ذلك الوقت ، وهي تعبير عن الايمان الصامد بتحقيق الاستقلال ، رغم ان كثيرين ، ومنهم بعض الجزائريين ، كانوا الى ذلك اذحين غير متأكدين منه . وهناك افتتاحية اخرى للاداب تناولت (قضايانا القومية) وخصصها الدكتور سهيل ادريس للحديث عن قبلة فرنسا الذرية وعن بتروال الصحراء الجزائرية . وقد مجد فيها مجددا الثورة واشاد بعروبة الجزائر وصمود ثوارها .

وقد ضمت ابحاث هذه السنة ثلاثة دراسات عن كتب تتعرض لقضية الجزائر . احداها العرض الذي قدمه محمد وهبي لكتاب (الثورة الجزائرية) لاحمد الخطيب ، والثانية عرض الدكتور سهيل ادريس لكتاب (مأساة انسان الجزائر حين يدخل فرنسا) لجانين اوريانو الذي وضعه في باب (كتاب الشهر) . وقد انتهى الدكتور ادريس منه بقوله انه مهما وجد في هذا الكتاب من ماخذ فانه يعترف بحق الجزائريين في الاستقلال والحرية . واما الدراسة الثالثة فهي تخميس شاهين (الانسان العربي ورواية دريس) اتي ان يناقش قضية الجزائر ايضا من خلال هذه الرواية التي تبدو الى حد ما بعيدة عنها . ومن جهة اخرى نشر احمد الخطيب بحثا عن (الامير عبد القادر الجزائري : بطولة وشعر) .

واشترك عدد من الكتاب الجزائريين ايضا بابحاثهم وقصصهم في الاداب خلال هذه السنة . اما الابحاث فنذكر منها (الفلاح والثورة العربية في الجزائر) لعثمان سعدي الذي سبق له ان القاه محاضرة في الكويت ، وهو بحث يتناول تاريخ الجزائر مع الاستعمار الفرنسي ، وخاصة الجانب الاقتصادي الاستغلالي منه . و لنفس الكاتب مقال عنوانه (رسالة الى مناضل) . كما اسهم محمد الصالح الصديق بمقاله (الى البطل القائد عمروش) . اما كاتب هذا البحث فقد نشر في الاداب خلال هذه السنة دراستين احدهما عن (البطولة في الاداب الجزائري الحديث) والاخرى عن (رسالة الجمعيات والنوادي ، في الجزائر) . واما في ميدان القصة فقد نشرت الاداب قصتين لكاتبين جزائريين هما عثمان سعدي وقصته (تحت الجسر المعلق) وحنفي بن عيسى وقصته (في حي القصبه) .

وبالإضافة الى ذلك تابع مراسل الاداب في فرنسا

ومسرحيتين . وكتاب (حرب الجزائر) لجول روي الذي يعتبر من إنتاج شاهد عيان وقد احدث ضجة عند صدوره . وقد كتب مندوز الفرنسي (الثورة الجزائرية بالنصوص) . وبهذه المناسبة نذكر مراجعة عبدالرحمن الزناقي للكتاب الذي افه كاتب هذا البحث عن (محمد التعيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث) .

- ٩ -

وإذا اتتهينا بسنة ١٩٦٢ الى شهر يوليو ، وهوتاريخ استقلال الجزائر ، فاننا لا نجد في الآداب خلال هذه الفترة اكثر من ثلاث قصائد تفاروق مردم وكاظم جواد ومحي الدين فارس . اما الابحاث فقليلة جدا نسبيا . فقد ترجم أندكتور سهيل ادريس مقدمة سارتر لكتاب (معذبو الارض) لفرانز فانون ، وهذا الكتاب ، كما اصبح معروفا ، وثيقة ادانة ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، لذلك صادرت السلطات الفرنسية في باريس فسور سدوره .

ومن جهة اخرى كتبت الاداب افتتاحية جديدة (تحية الى الجزائر) بمناسبة قرب اعلان الاستقلال . وقد بدأتها هكذا « البشرى لنا ايها الجزائر العظيمة ، يا أرض البطولات الخائدة ! » وتمنى كاتبها الذي يغلب على الظن انه هو رئيس التحرير نفسه ، ان ترد الثورة الجزائرية « القيمة للحرف العربي ، هذا الحرف الذي ما يزال يهدره كثير من التدجيل والنفاق ، وسيكون من شأن ثورتك (الجزائر) ان يرفعه من جديد الى صعيد الحرمة وانقداسة » وكانت هذه التحية من الاداب احرا ما قدمته من عواطف قومية وشخصية للثورة .

ورغم ان الدكتور عبدالدائم قد نشر مقالته (الجزائر المستقلة والثورة) خلال شهر أغسطس فان ما جاء فيها يعتبر تحليلا للاحداث التي جرت بعد مارس ١٩٦٢ . فقد راجع فيها الاسباب التي ادت الى تطور العلاقات الفرنسية الجزائرية من جهة والعلاقات بين الجزائريين انفسهم وأرجعها الى وضع الجزائر الخاص ايام الاستعمار . وكان الكاتب متفائلا ، رغم كثرة المصدومين مما وقع عندئذ ، حين بشر بان ثورة الجزائر ستتغلب على الصعوبات الطارئة وانها ستؤدي الى « تحرير الانسان العربي من كل صنوف العبودية واطلاق قواه وطاقات الابداع لديه وخلق الحضارة العربية الموحدة المبدعة في سبيل تقدم الانسان وغنى الانسانية » .

واحتوت الاداب على لقطات هامة عن حياة الشاعر مالك حداد والقصاص مولود قرعون . فزيد الظاهر عرض ونقد كتاب (الشقاء في خطر) لحداد الذي ترجمته السيدة ملك ابيض العيسى . اما قرعون فقد وردت على المجلة مراسلة عن حياته وآثاره بعد مقتله من طرف منظمة الجيش السري الارهابية . ونحب ان نختم هذا البحث بالكلمات التي كتبها

منظمة جانسون) التي كانت تعين الجزائريين . وقد قال الكاتب بعد ذلك « ونحن المثقفين العرب نستطيع ان نقدر اكبر التقدير موقف هذه الحفنة من احرار فرنسا لاننا نعيش المأساة الجزائرية في ضمائرنا ودمائنا » ثم وجه « تحية اليهم ، وتحية الى شعب الجزائر العظيم ، صانع المعجزات والبطولات ! » اما الافتتاحية الثانية فقد كتبها الدكتور عبدالله عبدالدائم بعنوان (الانسان وازمة الجزائر) وتعرض فيها لعلاقة الجزائر بفرنسا من الناحية المأساوية ، والثورة ، وموقف الفرنسيين الاحرار ، واساليب التعذيب ضد الجزائريين . وبذلك يتجلى ان اهتمام الاداب بالثورة لم يكن ادبيا فحسب بل كان سياسيا وقوميا ايضا .

اما الشعر خلال هذه الفترة فقد اشترك فيه خليل الخوري ، ومحمود كلزي ، وسليمان العيسى ، ونجيب سرور ، واحمد سويد ، ويظهر من هذه القائمة ان هؤلاء الشعراء يمثلون عدة اقطار عربية ، ولكن عددهم قليل بالنسبة لبعض الفترات الاخرى .

- ٨ -

وقد كادت الاداب سنة ١٩٦١ تخلو من ابحاث جادة وقصائد هامة عن الجزائر . ولولا ثلاث قصائد لمالك حداد (ترجمة ملك ابيض العيسى) وقصيدة لسليمان العيسى (وكلها في عدد واحد هو الثامن) لما عثرنا فيها على اية قصيدة تتناول موضوع الجزائر خلال السنة المذكورة . اما الابحاث فقد كتبت الاداب افتتاحية بعنوان (وثيقة بطولة) مترجمة عن مقال للكاتب الفرنسي جان كو . وقد اغتنمت هذه الفرصة للتنبؤ بالثورة الجزائرية التي كانت قد دخلت عامها الثامن ، ولتحية كفاح الشعب الجزائري من جديد ، والاشادة بالمظاهرة الكبيرة التي قام بها الجزائريون في ذلك الوقت متحدنين بها السلطات الفرنسية الفاشمة .

وفي هذه الانباء تلقت الاداب مراسلة من الجزائر ، اكتفى صاحبها بحروف (ع.١٠ق) وجعل لها عنوانا مشيرا هو (الادب العربي يحتضر في الجزائر) . وقد صور الكاتب فيها الصعوبات التي يمر بها الادب المكتوب باللغة العربية هناك . ومن جهة اخرى ساهم الجنيد خليفة بمقال فلسفي سماه (الوجود بلا وسيط) . كما ترجم محمد برادة مقالة مولود معمري عن (الادب الروائي المغربي المكتوب باللغة الفرنسية) وهو هنا يقصد ادب المغرب العربي وليس ادب قطر بعينه . اما الانتساج القصصي فلم نعثر منه سوى على قصة لحنفي بن عيسى بعنوان (الشمس لا تشرق من باريس) .

غير اننا نجد في الاداب خلال هذه السنة بعض المراجعات للكتب التي تتناول قضية الجزائر وادبها . ومن ذلك مراسلة من باريس عن كتاب (اصوات في القصة) لحسين بوهازر (بوزاهر ؟) وهو كتاب يضم عدة قصائد

حقا ان بعض الخلط قد وقع في البداية بين كتاب الجزائريين والفرنسيين مثل كامو وروبلس . ولكن هذا الخلط ما لبث ان زال .

٣ - ان الاداب ، بما احتوته من انتاج واخيسار ودراسات عن الجزائر ، تعتبر بحق مكتبة هامة لدراسة جوانب كثيرة من الثورة الجزائرية وتطورها ، وخاصة على الصعيد العربي . فهي لم تكثف بالتقل مما كتب عن الثورة فقط بل ضمت انتاجا غزيرا من اهل العربية ، سواء كانوا من الجزائريين او من العرب الاخرين ، وهي لذلك تعد مصدرا لا غنى عنه لدراسة ادب الثورة الجزائرية .

٤ - واخيرا نحب ان نلاحظ ان معرفة هيئة تحرير المجلة للغة الفرنسية قد سهلت مهمتها في الاتصال بالادب الفرنسي المتعلق بالجزائر والنقل منه الى قرائها . وهذه الميزة لم تتيسر لمجلات اخرى . فقد حفلت الاداب ، نتيجة لذلك ، باخبار الادب الجزائري (جغرافيا وقوميا) الواردة من فرنسا من المجلات والمصادر الاخرى الفرنسية، مثل ليكبيريس ، وفرانس اوبسارفاتور ، والازمنة الحديثة ، والعديد من الكتب الصادرة بفرنسا .

وبعد فان هذه الدراسة ليست الا عرضا سريعا لما نشرته الاداب عن الثورة الجزائرية منذ ظهورها السى يوليو ١٩٦٢ . وقد اردنا بها معرفة دور الاداب بالنسبة الى قضية عربية كانت تملأ الدنيا دويا في فترة من فترات صحوتنا القومية . اما التوقف عند كل جزئية ، والبحث والمقارنة في الانتاج المنشور ، وتقييمه ، فهو متروك لدارسين آخرين ، ولا سيما الجيل الصاعد الذي قد يخص ابحاثا اكايدمية مستقصية لما اكتفينا نحن هنا بجمعه وترتيبه وعرضه . وحسبنا في هذا المجال ان ننوه بخطوات الاداب في رصدها لاحداث الامة العربية والتعبير عنها قوميا ، وحسبها هي فخرا انها اصبحت لسان حال جيل كامل من هذه الامة ، جيل يؤمن بالوحدة العربية وبالتقدم العلمي وبالتحرر من جميع اشكال التبعية .

ابو القاسم سعدالله
(جامعة الجزائر)

الدكتور سهيل ادريس في افتتاحيته (على ارض الجزائر) حينما دعي لحضور احتفالات اول نوفمبر ١٩٦٢ اعترافا بفضل الاداب على الثورة وتقديرا لموقف رئيس تحريرها . فقد كتب بتلك المناسبة « تلمس قدماي ارض الجزائر فيتحقق الحلم الاثير ، وتقيم عيناى بفشاوة من دموع حين يرف فيهما علم الجزائر فوق بناء المطار : لقد ولدت اذن بنت المخاض المسير الدامي » ان هذه الكلمات كانت في الواقع تعبيراً على ما كان يختلج في نفوس العرب الاحرار في كل مكان تجاه الثورة الجزائرية التي اعادت للانسان العربي كرامته .

- ١٠ -

ويمكننا ان نستخلص عدة نقاط من هذه الدراسة :
١ - ان اهتمام الاداب بالثورة الجزائرية كان قوميا بالدرجة الاولى . فقد نظر العرب القوميون الى هذه الثورة على انها تعبير عن كرامتهم وتحفزهم وطموحهم في وقت كانوا يبحثون فيه عن (الفارس) الذي يحقق لهم الحلم ويرد لهم الاعتبار . ويلاحظ الدارس ذلك من افتتاحيات المجلة وفي التقديم الذي كان يكتبه قلم التحرير لهذه الدراسة او تلك . وقد استطاعت الاداب ، من جهة اخرى ، ان تربط ، من خلال ابحاث كتابها وقصصهم وقصائد شعرائها ، بين الثورة الجزائرية وتضال الامة العربية ، وان تربط القارئ العربي الذي كان ، قبل الثورة ، يجهل تقريبا كل شيء عن الجزائر ، بتضال الشعب الجزائري . وقد كانت الاداب في ذلك منسجمة كل الانسجام مع نفسها لان رسالتها منذ البداية كانت ، على الصعيد السياسي ، رسالة قومية .

٢ - من خلال الاداب عرف الناس الادب الجزائري بلفتيه العربية والفرنسية . فبعد قرن وربع من الاحتلال والاستعمار المباشر وطمس معالم الثقافة العربية ، قدمت الاداب الى قرائها نماذج من انتاج الجزائريين الادبي . فمن صفحاتها عرف هؤلاء الناس ، عربا وغير عرب ، من هم ادباء الجزائر بالفرنسية (كاتب ياسين ، مولود معمري ، مولود فرعون ، محمد ديب ، مالك حداد ، مالك ابن نبي) كما عرفوا نماذج من ادبائها بالعربية (محمد العيد ، احمد رضا حوحو ، عثمان سعدي ، الجنيدى خليفة ، ابو العيد دودو ، حنفي بن عيسى ، ابو القاسم سعدالله) .